

## تفسير سورة الإنسان

وهي مكية

في صحيح مسلم ، عن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة **﴿التم - تنزيل﴾** السجدة ، و**﴿هل أتى على الإنسان﴾** (١) .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

**﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾** ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج  
تتليد فجعلناه سمياً بصيراً﴾ ﴿إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً﴾

يقول تعالى مخبراً عن الإنسان أنه أوجده بعد أن لم يكن شيئاً يذكر ، لحقارته وضعفه ، فقال :  
**﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾** ؟

ثم بين ذلك فقال : **﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج﴾** أى : اخلاط . والمشج والمشج : الشيء المختلط ، بعضه فى بعض . قال ابن عباس فى قوله : **﴿من نطفة أمشاج﴾** أى : من نطفة ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتماعهما واختلطا ، ثم يتخل بعد من طور إلى طور ، وحال إلى حال . وهكذا قال عكرمة ، ومجاهد ، والحسن ، والربيع بن أنس : الأمشاج : هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة . وقوله : **﴿تتليد﴾** أى : نخيره ، كقوله : **﴿ليلوكم أهنم عملاً﴾** [الملك : ٢٠] . **﴿فجعلناه سمياً بصيراً﴾** أى : جعلنا له سمياً وبصراً يتمكن بهما من الطاعة والمعصية .

وقوله : **﴿إنا هديناه السبيل﴾** أى : بيناه له ووضحناه وبصرناه به ، كقوله : **﴿وأما نمود فهديناهم فاستجبوا أعمى على الهدى﴾** [فصلت : ١٧] ، وكقوله : **﴿وهديناه النجدين﴾** [البلد : ١٠] ، أى : بينا له طريق الخير وطريق الشر . وهذا قول عكرمة ، وعطية ، وابن زيد ، ومجاهد - فى المشهور عنه - والجمهور . وقوله : **﴿إما شاكراً وإما كفوراً﴾** : منصوب على الحال من «الهاء» فى قوله : **﴿إنا هديناه السبيل﴾** تقديره : فهو فى ذلك إما شقى وإما سعيد ، كما جاء فى الحديث الذى رواه مسلم ، عن أبى مالك الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : **«كل الناس يندو ، فباتع نفسه فموبقها أو معتقها»** (٢) . وروى الإمام أحمد عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ قال : **«ما من خارج يخرج إلا ببابه رايتان : راية بيد ملك ، وراية بيد شيطان ، فإن خرج لما يحب الله أتبعه الملك برايته ، فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته . وإن خرج لما يسخط الله أتبعه الشيطان برايته ، فلم يزل تحت راية الشيطان ، حتى يرجع إلى بيته»** (٣) . وروى الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله : أن النبى ﷺ قال لكعب بن عجرة : **«أعاذك الله من إمارة السفهاء»** . قال : وما إمارة السفهاء ؟ قال : **«أمرأه يكونون من بعدى ، لا يهتدون بهدأى ، ولا يستنون بستى ، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم ، فأولئك ليسوا منى ولست منهم ، ولا**

(٢) مسلم (١/٢٢٣) .

(١) مسلم (٨٧٩ / ٦٤) .

(٣) المسند (٨٢٦٩) وقال الشيخ أحمد شاكر : «إسناده صحيح» .

يَرُدُّونَ عَلَى حَوْسَى . ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يُعْنِهِمْ عَلَى ظَلْمِهِمْ ، فأولئك منى وأنا منهم ، وسيردون على حَوْسَى . يا كعب بن عَجْرَةَ ، الصوم جنة ، والصدقة تطفئ الخطيئة ، والصلاة قربان - أو قال: برهان - يا كعب بن عَجْرَةَ ، إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سَحْتٍ ، النار أولى به . يا كعب ، الناس غاديان ، فمتاع نفسه فمعتقها ، وبائع نفسه فموقبها (١) .

﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلْسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿١٠﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿١١﴾ عَنَّا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿١٢﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿١٣﴾ وَيُطْعَمُونَ أَلْفَمًا عَلَى حَيْبِهِ وَيَسْكِنُونَ فِي بُيُوتِهِمْ أَزْوَاجًا مُتَشَابِهًا وَلَا يُكْرَهُ لَهُمْ أَن يُجَازُوا فِي سُبُلِهِمْ لِيُسْأَلَهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَإِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِيرًا ﴿١٤﴾ فَوَقَدْتُمْ أَنَّ اللَّهَ شَرٌّ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَلَقَدْ نَعَرْتُمْ سُرُورًا ﴿١٥﴾ وَجَزَيْتُمُ يَمَانَ صَبْرًا خِثَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾

يخبر تعالى عما أُرصد له للكافرين من خلقه به من السلاسل والأغلال والسعير ، وهو اللهب والحريق في نار جهنم ، كما قال: ﴿ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ . فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ [غافر: ٧١ ، ٧٢]

ولما ذكر ما أعد لهؤلاء الأشقياء من السعير قال بعده: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ ، وقد علم ما في الكافور من التبريد والرائحة الطيبة ، مع ما يضاف إلى ذلك من اللذابة في الجنة . قال الحسن : برد الكافور في طيب الزنجبيل ؛ ولهذا قال: ﴿ عَنَّا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ أى : هذا الذى مُزج لهؤلاء الأبرار من الكافور هو عين يشرب بها المقربون من عباد الله صرفا بلا مزج ويروون بها . قال بعضهم : هذا الشراب في طيبه كالكافور . وقال بعضهم : هو من عين كافور .

وقوله: ﴿ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ أى : يتصرفون فيها حيث شاؤوا وأين شاؤوا ، من قصورهم ودورهم ومجالسهم ومحالهم . والتفجير هو الإنباع ، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴾ [الإسراء: ٩٠] . وقال: ﴿ وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ﴾ [الكهف: ٢٣] . قال مجاهد : ﴿ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ : يقدونها حيث شاؤوا ، وكذا قال عكرمة ، وقاتدة . وقال الثوري : يصرفونها حيث شاؤوا .

وقوله: ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ أى : يتعهدون لله فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع ، وما أوجبه على أنفسهم بطريق النذر . روى الإمام مالك ، عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال : « من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه » ، رواه البخارى من حديث مالك (٢) .

ويتركون المحرمات التى نهاهم عنها خيفة من سوء الحساب يوم المعاد ، وهو اليوم الذى شره مستطير ، أى : منتشر عام على الناس إلا من رحِمَ الله . قال ابن عباس : فاشياً . وقال قتادة : استطار - والله - شر ذلك اليوم حتى مَلَأَ السموات والأرض . قال ابن جرير : ومنه قولهم : استطار الصدع فى الزجاج واستطار .

(١) المسند (٣/ ٣٢١) ، وقال الهيثمى فى الزوائد (١٠/ ٢٣٤) : « رجال أحمد رجال الصحيح » .

(٢) البخارى (٦٦٩٦ ، ٦٧٠٠) .

وقوله : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ ﴾ قيل : على حب الله تعالى . وجعلوا الضمير عائداً إلى الله عز وجل لدلالة السياق عليه . والأظهر أن الضمير عائد على الطعام ، أى : يطعمون الطعام فى حال محبتهم وشهوتهم له ، قاله مجاهد ، ومقاتل ، واختاره ابن جرير ، كقوله تعالى : ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ﴾ [البقرة: ١٧٧] ، وكقوله تعالى : ﴿ لَنْ نَأْتِيَ الْبِرَّ حَتَّى نُلْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران: ٩٢] . وفى الصحيح : «أفضل الصدقة أن تصدَّق وأنت صحيح ، شحيح ، تأمل الغنى ، وتخشى الفقر» (١) ، أى : فى حال محبتك للمال وحرصك عليه وحاجتك إليه ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسْيراً ﴾ . أما المسكين واليتيم ، فقد تقدم بيانها وصفتهما . وأما الأسير : فقال سعيد بن جبیر ، والحسن ، والضحاك : الأسير : من أهل القبلة . وقال ابن عباس : كان أسراؤهم يومئذ مشركين . ويشهد لهذا أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى ، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء ، وهكذا قال سعيد بن جبیر ، وعطاء ، والحسن ، وقتادة .

وقد وصى رسول الله ﷺ بالإحسان إلى الأرقاء فى غير ما حديث ، حتى إنه كان آخر ما أوصى أن جعل يقول : « الصلاة وما ملكت أيمانكم » (٢) . وقال عكرمة : هم العبيد - واختاره ابن جرير - لعموم الآية للمسلم والمشرک . وقال مجاهد : هو المحبوس ، أى : يطعمون لهؤلاء الطعام وهم يشتهونه ويحبونه ، قائلين بلسان الحال : ﴿ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ ﴾ أى : رجاء ثواب الله ورضاه ، ﴿ لَا نُزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً ﴾ أى : لا نطلب منكم مجازاة تكافئونها بها ولا أن تشكرونا عند الناس . قال مجاهد وسعيد بن جبیر : أما والله ما قالوه بالستهم ، ولكن علم الله به من قلوبهم ، فأنى عليهم به ليرغب فى ذلك راغب .

﴿ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا غَیْبًا قَمَطِرًا ﴾ أى : إنما نفعل هذا لعل الله أن یرحمنا ويتلقانا بلطفه ، فى اليوم العبوس القمطرير . قال ابن عباس : ﴿ غَیْبًا ﴾ ضيقاً ، ﴿ قَمَطِرًا ﴾ طويلاً . وقال عكرمة وغيره ، عنه ، فى قوله : ﴿ يَوْمًا غَیْبًا قَمَطِرًا ﴾ أى : يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران . وقال سعيد بن جبیر ، وقتادة : تعبس فيه الوجوه من الهول ، ﴿ قَمَطِرًا ﴾ تقليص الجبين وما بين العينين ، من الهول . وقال ابن زيد : العبوس : الشر . والقمطرير : الشديد . وأوضح العبارات وأجلها وأحلاها ، وأعلاها وأولاها ، قول ابن عباس رضى الله عنه .

قال ابن جرير : والقمطرير هو : الشديد ؛ يقال : هو يوم قمطرير ويوم قَمَاطِرٍ ، ويوم عَصِيبٍ وعَصِيبٍ ، وقد اقمطر اليومُ يقمطرُ اقمطراً ، وذلك أشد الأيام وأطولها فى البلاء والشدة .

قال الله تعالى : ﴿ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً ﴾ ، وهذا من باب التجانس البليغ ، ﴿ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ ﴾ أى : آمنهم مما خافوا منه ، ﴿ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً ﴾ أى : فى وجوههم ، ﴿ وَسُرُوراً ﴾ أى : فى قلوبهم . قاله الحسن البصرى ، وقتادة ، وأبو العالية ، والربيع بن أنس . وهذه كقوله تعالى : ﴿ وَجِوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ . ضَاحِكَةٌ مُّتَبَشِّرَةٌ ﴾ [عبس: ٣٨ ، ٣٩] . وذلك أن القلب إذا سرَّ استنار الوجه ، قال كعب بن مالك فى حديثه الطويل : وكان رسول الله ﷺ إذا سرَّ ، استنار وجهه حتى كأنه قطعة

(١) مسلم (١٠٣٢ / ٩٢) .

(٢) السنن (٥٨٥) وقال الشيخ أحمد شاكر : «إسناده صحيح» .

قَمَرٌ . وَقَالَتْ عَائِشَةُ : دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَسْرُورًا تَبْرُقُ أَسَارِيرُ وَجْهِهِ - الْحَدِيثُ (١) . وَقَوْلُهُ : ﴿ وَجَزَاءُ مَا صَفَرُوا ﴾ : أَيْ : بِسَبَبِ صَبْرِهِمْ أَعْطَاهُمْ وَتَوَلَّاهُمْ وَيَوْمَئِذٍ ﴿ جَنَّةٌ وَخَيْرٌ ﴾ : أَيْ : مَنْزِلًا رَحِيمًا ، وَهَيْشًا رَعْدًا ، وَلباسًا حَسَنًا .

﴿ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْكَانِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيَطَّافُ عَلَيْهِمْ بِبَاطِنِهَا مِنْ فَضِّهِ وَأَكْوَابٍ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا ﴿١٦﴾ مِنْ فَضِّهِ فَذَرَوْهَا تَقْدِيرًا ﴿١٧﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَتْ جِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿١٨﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَنْسَبِيلًا ﴿١٩﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنُورًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلُكًا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ عَلَيْهِمْ سَائِبٌ سُدُوسٌ حُمْرٌ مُسْتَبْرَقٌ وَطُورًا أَسْوَدٌ مِنْ فَضِّهِ وَسَعَنَهُمْ رَبُّهُمْ سَرَابًا طَهُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعِيرًا مُنْكَرًا ﴿٢٣﴾

يخبر تعالى عن أهل الجنة وما هم فيه من التميم المقيم ، وما أسبغ عليهم من الفضل العميم فقال : ﴿ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْكَانِ ﴾ . وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة « الصافات » ، وذكر الخلاف في الاتكاء : هل هو الاضطجاع ، أو التمرق ، أو التربع ، أو التمكن في الجلوس ؟ وأن الأركان هي السرر تحت الحجال . ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾ : أَيْ : لَيْسَ عِنْدَهُمْ حَرٌّ مَزْعِجٌ ، وَلَا بَرْدٌ مُؤْلِمٌ ، بَلْ هِيَ مِزَاجٌ وَاحِدٌ دَائِمٌ سَرْمَدِيٌّ ، ﴿ لَا يَخُونُ عَنْهَا حَوْلًا ﴾ [ الكهف : ٨-١٠ ] ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا ﴾ : أَيْ : قَرِيبَةً إِلَيْهِمْ أَغْصَانُهَا ، ﴿ وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا ﴾ : أَيْ : مَتَى تَعَاوَاهُ دَنَا الْقَطْفُ إِلَيْهِ وَتَدَلَّى مِنْ أَعْلَى غِصْنِهِ ، كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْآخَرَى : ﴿ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٌ ﴾ [ الرحمن : ٥٤ ] . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾ [ الحاقة : ٢٣ ] .

وقوله : ﴿ وَيَطَّافُ عَلَيْهِمْ بِبَاطِنِهَا مِنْ فَضِّهِ وَأَكْوَابٍ ﴾ : أَيْ : يَطُوفُ عَلَيْهِمْ الْحَدَامُ بِأَوَانِي الطَّعَامِ ، وَهِيَ مِنْ فِضَّةٍ ، وَأَكْوَابُ الشَّرَابِ وَهِيَ الْكِيْزَانُ الَّتِي لَا عَرَى لَهَا وَلَا خِرَاطِيمٍ . وَقَوْلُهُ : ﴿ قَوَارِيرًا . قَوَارِيرًا مِنْ لُؤْلُؤٍ ﴾ : فَالْأَوَّلُ مَنْصُوبٌ بِخَيْرٍ « كَانِ » : أَيْ : كَانَتْ قَوَارِيرُ . وَالثَّانِي مَنْصُوبٌ إِمَّا عَلَى الْبَدَلِيَّةِ ، أَوْ تَمْيِيزًا ، لِأَنَّهُ بَيْنَهُ يَقُولُهُ : ﴿ قَوَارِيرًا مِنْ لُؤْلُؤٍ ﴾ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَمُجَاهِدٌ ، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ : بِيَاضِ الْفِضَّةِ فِي صَفَاءِ الزَّجَاجِ ، وَالْقَوَارِيرُ لَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ زَجَاجٍ . فَهَذِهِ الْأَكْوَابُ هِيَ مِنْ فِضَّةٍ ، وَهِيَ مَعَ هَذَا شِفَاقَةٌ يَرَى مَا فِي بَاطِنِهَا مِنْ ظَاهِرِهَا ، وَهَذَا عَمَّا لَا نَظِيرَ لَهُ فِي الدُّنْيَا . وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : لَيْسَ فِي الْجَنَّةِ شَيْءٌ إِلَّا قَدْ أُعْطِيتُمْ فِي الدُّنْيَا شِبْهَهُ إِلَّا قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ . وَقَوْلُهُ : ﴿ فَذَرَوْهَا تَقْدِيرًا ﴾ : أَيْ : عَلَى قَدْرِ رِزْقِهِمْ ، لَا تَزِيدُ عَنْهُ وَلَا تَقْصُرُ ، بَلْ هِيَ مُعَدَّةٌ لِذَلِكَ ، مُقَدَّرَةٌ بِحَسَبِ رِئْصِ صَاحِبِهَا . هَذَا مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَمُجَاهِدٍ ، وَسَعِيدِ بْنِ جَبْرِ ، وَقَتَادَةَ وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ وَغَيْرُ وَاحِدٍ . وَهَذَا أَبْلَغُ فِي الْإِعْتِنَاءِ وَالشَّرَفِ وَالْكَرَامَةِ . وَقَالَ الْعَوْفِيُّ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ فَذَرَوْهَا تَقْدِيرًا ﴾ : قَدَرْتُ لِلْكَفِّ . وَهَكَذَا قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ . وَقَالَ الضَّحَّاكُ : عَلَى قَدْرِ أَكْفِ الْحَدَامِ . وَهَذَا لَا يَنَافِي الْقَوْلِ الْأَوَّلِ ، فَإِنَّهَا مُقَدَّرَةٌ فِي الْقَدْرِ وَالرِّيِّ .

وقوله: ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴾ أى: ويسقون - يعنى الأبرار أيضا - فى هذه الاكواب ﴿ كَأْسًا ﴾ أى: خمرأ ، ﴿ كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴾ فتارة يُمزَج لهم الشراب بالكافور وهو بارد ، وتارة بالزنجبيل وهو حار ، ليعتدل الأمر، وهؤلاء يمزج لهم من هذا تارة ومن هذا تارة. وأما المقربون فإنهم يشربون من كل منهما صرفاً، كما قاله قتادة وغير واحد. وقد تقدم فى قوله: ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ﴾ ، وقال ههنا: ﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴾ أى: الزنجبيل عين فى الجنة تسمى سلسبيلاً. قال عكرمة: اسم عين فى الجنة. وقال مجاهد: سميت بذلك لسلاسة سيلها وحدة جريها. وحكى ابن جرير عن بعضهم أنها سميت بذلك لسلاستها فى الحلق. واختار هو أنها تعم ذلك كله ، وهو كما قال .

وقوله تعالى: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثورًا ﴾ أى: يطوف على أهل الجنة للخدمة ولدانٌ من ولدان الجنة ﴿ مُّخَلَّدُونَ ﴾ أى: على حالة واحدة مخلدون عليها ، لا يتغيرون عنها ، لا تزيد أعمارهم عن تلك السن . ومن فسروهم بأنهم مخرصون فى آذانهم الاقربة ، وإنما عبر عن المعنى بذلك ؛ لان الصغير هو الذى يليق له ذلك دون الكبير . ﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثورًا ﴾ أى : إذا رأيتهم فى انتشارهم فى قضاء حوائج السادة ، وكثرةهم ، وصباحة وجوههم ، وحسن الوانهم وثيابهم وحليهم ، حسبتهم لؤلؤا منثورا . ولا يكون فى التشبيه أحسن من هذا ، ولا فى المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن . قال عبد الله بن عمرو : ما من أهل الجنة من أحد إلا يسمى عليه ألف خادم ، كل خادم على عمل ما عليه صاحبه .

وقوله: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ﴾ أى : وإذا رأيت يا محمد ، ﴿ نَمًّا ﴾ أى : هناك ، يعنى فى الجنة ونعيمها وسعتها وارتفاعها وما فيها من الخبرة والسرور ، ﴿ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا ﴾ أى : مملكة لله هناك عظيمة وسلطانا باهراً . وثبت فى الصحيح أن الله تعالى يقول لأخر أهل النار خروجاً منها ، وآخر أهل الجنة دخولاً إليها : « إن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها » (١) . فإذا كان هذا عطاؤه تعالى لادنى من يكون فى الجنة ، فما ظنك بما هو أعلى منزلة ، واحظى عنده تعالى .

وقوله : ﴿ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ﴾ أى : لباس أهل الجنة فيها الحرير ، ومنه سندس ، وهو رفيع الحرير القمصان ونحوها مما يلى أبدانهم ، والإستبرق منه ما فيه بريق ولعان ، وهو مما يلى الظاهر ، كما هو المعهود فى اللباس ، ﴿ وَحُلُوعًا أُسْوَرًا مِنْ فِضَّةٍ ﴾ وهذه صفة الأبرار ، وأما المقربون فكما قال : ﴿ يُحَلُّونَ فِيهَا مِنْ أَسْوَرًا مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ [الحج: ٢٣] .

ولما ذكر تعالى زينة الظاهر بالحرير والحلى قال بعده : ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ أى : طهر بواطنهم من الحسد والحقد والغل والأذى وسائر الاخلاق الرديئة ، فأخبر سبحانه وتعالى بحاله الظاهر وجمالهم الباطن . وقوله : ﴿ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴾ أى: يقال لهم ذلك تكريماً لهم وإحساناً إليهم كما قال تعالى: ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْغَالِيَةِ ﴾ [الحاقة: ٢٤] ، وكقوله: ﴿ وَتُودَعُونَ أَنْ تُتَكَّمُ الْجَنَّةُ أَوْرَشُومُهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الاعراف: ٤٣] . وقوله: ﴿ وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴾ أى : جزاكم الله على القليل بالكثير .

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ مِنْهُمْ إِنَّمَا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَأَذْكُرِ اتِّمَّ

رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٣﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٤﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لِحُجُوعَ الْعَاجِلَةِ  
وَيَذُرُونَ وِرَاءَهُمْ يَوْمًا تَقِيلًا ﴿٢٥﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ  
تَذَكَّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٨﴾  
يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٩﴾

يقول تعالى ممثلاً على رسوله ﷺ بما نزله عليه من القرآن العظيم تنزيلاً : ﴿ فاصبر لعنكم ربك ﴾  
أى : كما أكرمك بما أنزل عليك ، فاصبر على قضائه وقدره ، واعلم أنه سيديرك بحسن تدييره ، ﴿ ولا  
تقطع عنهم شيئاً أو كفوراً ﴾ أى : لا تقطع الكافرين والمنافقين إن أرادوا صدك عما أنزل إليك ، بل بلغ ما أنزل  
إليك من ربك ، وتوكل على الله ؛ فإن الله يعصمك من الناس . فالأنتم هو العاجر في أفعاله ،  
والكفور هو الكافر قلبه . ﴿ وأذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً ﴾ أى : أول النهار وآخره . ﴿ ومن الليل فاسجد له  
وسبحه ليلاً طويلاً ﴾ ، كقوله : ﴿ ومن الليل فتهجد به نالفة لك عسى أن يتخك ربك مقاماً محموداً ﴾ [الإسراء: ٧٩] .  
وكقوله : ﴿ يا أيها المزمل . قم الليل إلا قليلاً . نصفه أو انقص منه قليلاً . أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً ﴾ [المزمل: ١ -  
٤] . ثم قال تعالى منكراً على الكفار ومن أشبههم في حب الدنيا والإقبال عليها والانصباب إليها ،  
وترك الدار الآخرة وراء ظهورهم : ﴿ إن هؤلاء يحسبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً ﴾ أى : يوم القيامة .

ثم قال : ﴿ نحن خلقناهم وشددنا أسرهم ﴾ قال ابن عباس ، ومجاهد ، وغير واحد : يعنى خلقهم ﴿ وإذا  
شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً ﴾ أى : وإذا شئنا بعثناهم يوم القيامة ، وبدلناهم فاعدناهم خلقاً جديداً . وهذا  
استدلال بالبداة على الرجعة . وقال ابن زيد ، وابن جرير : ﴿ وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً ﴾ أى : وإذا شئنا  
أتينا بقوم آخرين غيرهم ، كقوله : ﴿ إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديراً ﴾  
[النساء: ١٣٣] ، وكقوله : ﴿ إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد . وما ذلك على الله بعزيز ﴾ [إبراهيم: ١٩ ، ٢٠ ،  
وقاطر: ١٦ ، ١٧] .

ثم قال تعالى : ﴿ إن هذه ﴾ أى : هذه السورة ﴿ تذكرة فمن شاء اتخذ إلىٰ ربه سبيلاً ﴾ أى : طريقاً  
ومسلكاً ، أى : من شاء اهتدى بالقرآن ، كقوله : ﴿ وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله  
وكان الله بهم عليماً ﴾ [النساء: ٣٩] . ثم قال : ﴿ وما تشاءون إلا أن يشأ الله ﴾ أى : لا يقدر أحد أن يهدى  
نفسه ، ولا يدخل في الإيمان ولا يجر لنفسه نفعاً ، ﴿ إلا أن يشأ الله إن الله كان عليماً حكيماً ﴾ أى : عليم  
بمن يستحق الهداية فيسرها له ، ويقبض له أسبابها ، ومن يستحق الغواية فيصرفه عن الهدى ، وله  
الحكمة البالغة ، والحجة الدامغة ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ إن الله كان عليماً حكيماً ﴾ . ثم قال : ﴿ يدخل من  
يشأ في رحمته والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً ﴾ أى : يهدى من يشأ ويضل من يشأ ، فمن يهده فلا مضل  
له ، ومن يضل فلا هادى له .